عام وهو نصف يوم اي من ايام الاخرة وقد احتج على فضل الفقر فانه شعار الاوليا
اي علامتهم التي يستدلة بها عليهم ولباسهم الذي لا يزال ملصقا بهم قال ابراهيم
القصار الفقر لباس يوجب الرضا اي بكل ما جرته الحق عليهم مما سبق به تقديره
وقضاده وحلية الاصفيا اي صفتهم التي بها تمازون بها والاصفيا جمع صفي
من الصفوة وهي الخلوص من الاكدار وفي كلام بعضهم الصفي هو الحبيب المصافي
والاصفيا خلص الاوليا الذين اختصهم الله بانوار المكاشفة والمشاهدة وكمال
الاستبصار في احوالهم واحوال غيرهم وخيرة بكسر اوله وسكون ثانيه وبفتحه
بوزن عنبه اي اختيار الله لخواصه وهم الذين اختصهم بوده من الاتقياء
والانبيا صلوات الله عليهم وما ذاك الا لشرفه وعلو شانه لانه الاحتياج الى العبودية
لقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله والله هو الغني الحميد وقد ذكر البدر
الزركشي عن بعض الفقها المتاخرين انه صلى الله عليه وسلم لم يكن فقيرا من المال
قط ولا حاله حال فقير بل كان اغنى الناس بالله فقد كفي امر دنياه في
نفسه وعياله وكان يقول في قوله صلى الله عليه وسلم اللهم احيني مسكينا المراد
استكانة القلب لا المسكنة الشرعية وكان يشدد النكير على من اعتقد خلاف
ذلك وقال ابن حجر المكي وخبر الفقر فخري وبه افتخر باطل انتهى وهذا لا ينافي
ما ذكره المصنف من ان الفقر حلية الاصفيا لان المحصول صفة لهم هو الافتقار
الى الله تعالى مع قطع النظر الى المخلوقات ومنافعها جملة واحدة والمنفي عنهم
هو خلو اليد من المال مع انزعاج نفوسهم وعدم طمانينتها الى وعد الله
تعالى في قوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ومن كلام بشر الحافي
رحمه الله تعالى افضل المقامات جمع مقام بفتح الميم لغة موضع القيام وبضمها
موضع الاقامة قال الجوهري وقد يكون كل منهما بمعنى الاقامة وبمعنى موضع
القيام وفي اصطلاح اهل الطريق ما يتصف العبد بنزوله فيه من الادب
مما يتوصل اليه بنوع تصرف ولا يتصف به الا بنوع تطلب ومقاساة تكلف
اي مع الموهبة الى ان يكمل العبد فيه فمقام كل احد ما هو مشتغل بالرياضة
له وشرطه ان لا يرتقي من مقام الى مقام اخر ارفع منه الا بعد ان يستوفي
احكام ذلك المقام فمن اشتغل بمقام القناعة ولم يحكمه لا يصح منه ان يرتقي
الى مقام التوكل اذ لكل مقام بداية ونهاية وبينهما احوال متفاوتة مثاله في
مقام الخوف من الله تعالى مثلا ان تبدا بترك الكباير خوفا من الله تعالى فاذا
ارتفع عن ذلك بترك الصغاير ثم المكروهات ثم الشبه ثم التوسع في
الحلال الى ان ينتهي الى ترك كل ما يشغله عن الله بخلاف الحال فانه الذي
يرد على القلب بمحض الموهبة من غير تعمل واجتلاب كحزن او خوف او بسط
او قبض او شوق او ذوق ويزول بظهور صفات النفس وصاحبه دائما
في ترق فالمقامات مستقرة والاحوال متغيرة وقد تصير الاحوال مقامات
اعتقاد الصبر على الفقر الى الفقر لان الفقر اكرم صفة الله من خلقه ومواضع

اسرار

اسرار بهم يلصون الخلق وبركاتهم يبسط عليهم الرزق والفقرا الصابرون هم جلسا الله
يوم القيامة اي بان يكرمهم ويرفع درجتهم لانه سبحانه منزه عن ان يجلس او
يجالس لكن لما كان المعهود فيما بيننا ان من جالس الملوك كان مكرما مرفوع الدرجة
اطلقت المجالسة واريد بها ما قلناه تنبيه كثر اختلاف الناس في الفقر
والغنى ايهما افضل عند الله للعبد حتى يكتسبه ويتخلق به والمعتمد ان الافضل
ان يعطى العبد كفايته ثم يصان فيما اعطيه فهذه حالة متوسطة بين الفقر
والغنى وخير الامور اوساطها وهي الحالة التي اختارها النبي صلى الله عليه وسلم
لنفسه وسالها بقوله اللهم اجعل رزق ال محمد قوتا وروي كفافا فهي حالة سليمة
من افات الغنى المطغي وافات الفقر المدقع الذي كان يتعوذ منه صلى الله عليه وسلم
فالفقير الصابر بهذا المعنى افضل من الغني الشاكر وهذا ما اختاره ابن الصلاح
وغيره والمراد بالفقير الصابر من حبس القلب على حكم الرب ووقف عند البلا
على الصفا وترك الشكوى عند هجوم البلوى من غير دعوى والمراد بالغني الشاكر
المعترف بالعطية والمنصرف من الخطية بصرف النعمة في وجهها على قصد الخدمة
مع نوع استكانة واقرار بان ذلك من فضل الله لا باخذ المال الا بالاحتياط
من وجوهه الشرعية ولا ينفقه الا في وجوه الخير المرغبة فان كان هذا الغني
مع ما ذكرناه طاهر النفس مهذب الاخلاق تام العفاف وكان لا يستبقي
لنفسه من ماله سوى الكفاف وينفق ما عداه جميعه في طرق الخير فلا خلاف ان
هذا افضل من صاحب الكفاف وعليه يحمل اطلاق من اطلق ان الغني الشاكر افضل
من الفقير الصابر ومن اوصافهم اي اهل الطريقة الفتوة بضم الفا وهو ان
يكون العبد ساعيا ابدا في امر غيره بان يقضي حاجته ويترك خصومته
ويتغافل عن زلته ويقرب من يؤذيه ويكرمه ويعتذر الى من جنى عليه
ولا يشهد له فضلا على غيره ولا يرى له على غيره حقا وهي ممدوحة ومطلوبة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد
في حاجة اخيه المسلم والتقييد بالمسلم جرى على الغالب وحسن
الصحبة في الله تعالى قال الله عز وجل ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ
يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا لما تمت الله سبحانه للصديق الصحبة
بين له انه صلى الله عليه وسلم اظهر عليه الشفقة والحنو من الم الحزن
فقال اذ يقول لصاحبه لا تحزن فالحر شفيق على من يصحبه وهي او كد من
الاخوة والمحبة وقد جعل المشايخ الصحبة ثلاثة اقسام الاول صحبة من هو فوقك
في المنزلة من دين او علم او نحو ذلك وهي في الحقيقة خدمة فحقك في صحبته الاحترام
والخدمة له والثاني صحبة من هو دونك فيما ذكر وهي تقضي للتابع على المتبوع
بالشفقة والرحمة وللمتبوع على التابع بالوفاق والخدمة والثالث صحبة الاكفا
والنظرا اي من يساويك فيما ذكر وهي مبنية على الايثار لحق من صحب

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)